البعد القيمي للإعلام في مواجهة التطرف الديني في الدول الإسلامية

ـ إشكالية الصراع الإيديولوجي وحتمية التعايش ـ

The effectiveness of valuable media in combating racism and religious extremism in Islamic countries

-The problem of ideological conflict and the inevitability of coexistence-

عيساوي الطيب[1]، مبني نور الدين[2]

Aissaoui Tayeb[1], Mebni Nourddin[2]

[1]جامعة مُحَمَّد الصديق بن يحي جيجل (الجزائر)، tabiscience@gmail.com

[2]جامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، mebni@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/09 تاريخ القبول: 2022/05/01 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

يعتبر الإعلام المرآة العاكسة للكثير من المجتمعات والأمم عبر العالم، حيث يقوم بنقل العديد من المجريات والأحداث ذات الأبعاد الإجتماعية والثقافية والأنثروبولوجية الخاصة بتلك البلدان والجماعات الإثنية والعرقية المختلفة والمتباينة أيضا في العادات والتقاليد والمعتقدات وغيرها من الطقوس البشرية الأخرى.

فالجدوى من هذه الإشكالية هي البحث عن الطرق والوسائل التي تساعد في اعتماد الإعلام القيمي كركيزة أساسية وفعالة في الحد من مظاهر الاستغلال السلبي للإعلام الإجتماعي وتشجيع مبادرات ونماذج العيش المشترك، وتجنيب الأمة الإسلامية ويلات الحروب الأهلية والجهل والدمار، وإعطاء الأولوية لتطوير البنية الإقتصادية وتحقيق التنمية المستدامة وإعادة المسلمين إلى حلبة التناغم الحضاري.

كلمات مفتاحية: الفعالية ؛ الإعلام القيمي ؛ العنصرية ؛ التطرف الديني ؛ الدول الإسلامية.

Abstract:

The media is the mirror of many societies and nations across the world, as it transmits many events of social and anthropological dimensions to those countries and different ethnic and racial groups that are also different in customs, traditions, beliefs and other human rituals.

The feasibility of this problem is to search for ways that help in adopting value media as a basic pillar in limiting the manifestations of negative exploitation of social journalism and encouraging models of coexistence, sparing the Islamic nation the scourge of wars and strife, and giving priority to developing the economic structure and returning Muslims to the arena of cultural harmony.

Keywords: effectiveness؛ value media ; racism ; religious extremism; Islamic countries**.**

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، **الإيميل**: tabiscience@gmail.com

مقدمة:

عرفت المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ القديم والحديث وحتى المعاصر الكثير من المحطات والأحداث التي ساهمت في تشكيل ملامح معظم الدول الإسلامية والكيانات السياسية المعروفة اليوم، فالملاحظ هو أن أغلب أنظمة الحكم في البلدان الإسلامية تتميز بخلفيات وشرعيات تاريخية مختلفة لكنها تشترك في عنصر واحد وهو أن بلوغ سدة الحكم وتثبيت السيطرة في يد جناح أو فئة معينة في منظومة السلطة مقترن إلى حد بعيد بصراع أيديولوجي ذو قاعدة دينية أو عرقية أو حتى تلك المرتبطة بتطبيق المعايير الدخيلة والوافدة من الأقطاب الدولية المهيمنة في العالم مثل المعسكر الشيوعي الاشتراكي ونقيضه المتمثل في القلعة الليبرالية الرأسمالية، حيث أنه لا يمكن أن نغفل دور الإعلام عبر كل هذه المراحل كآلية داعمة للسلطات تارة ومؤججة للنعرات الشعبوية تارة أخرى، وذلك طبعا بما يخدم مصالح لوبيات وأقطاب معينة في دواليب الحكم، فاللافت في العقود الأخيرة هو استغلال الإعلام وتوظيفه بطريقة موجهة ومضللة لا تعكس الأبعاد الاحترافية والتنموية للممارسة الإعلامية، والتي أدت بصورة أو بأخرى إلى إحداث مظاهر الشقاق والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد من خلال الاعتماد على البرامج الإعلامية المغرضة وإشراك المرجعيات الدينية وكذلك المؤسسات والهيئات الرسمية والغير رسمية في إحداث الفتن وتغذية مشاعر الكراهية في المجتمعات الإسلامية وانتهاج الشمولية الدكتاتورية في تسير هذه الدول وكبح الحريات والأصوات الحكيمة الداعية للتكافل والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد، فالمطلوب اليوم من جموع الباحثين

والمتخصصين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية مباشرة العمل على إيجاد ميكانيزمات قيمية وأخلاقية فعالة قادرة على بناء قاعدة جديدة وعادلة تحقق تطلعات الشعوب الإسلامية نحو التطور والتقدم على مستويات عدة أهمها تلك التي تجعل من الكفاءات والإطارات النوعية اللبنة الأولى لبناء هذا الصرح الحضاري المتنوع دون إعارة أي اهتمام للخلفيات الدينية أو الإثنية لهؤلاء.

تحديد المشكلة:

إن من الأدوار الأساسية للإعلام هي المشاركة الفعلية والميدانية في الحياة اليومية والإجتماعية للأشخاص والهيئات وغيرها، ذلك أنه يحدد ويرتب أولويات الجمهور حسب أجندات معينة يتحقق من خلالها مجموعة من الأهداف والمساعي عن طريق معرفة معدلات التأثير والتجاوب سلبا أو إيجابا من قبل المتعرضين والمتابعين لمحتويات ومضامين وسائل الإعلام في المجتمع، كل هذه التفاصيل تجعلنا نعيد التفكير أكثر في طريقة تعاملنا مع الإعلام وما يمكن أن يحققه إذا ما تم تقويمه وتهذيبه لخدمة الإنسان والترويج لصور التعايش واحترام الآداب العامة في المجتمعات البشرية، وهذا ما يتبلور في إطار الإعلام القيمي والهادف الذي يراد بواسطته تجسيد منظومة إعلامية لا ترتبط بشكل كلي ومباشر مع الجوانب المادية والصناعة الإشهارية أو تسلط الضوء بإسهاب على الفضائح والطابوهات التي تطيح بالذوق العام للجمهور والتي تسعى فقط إلا لرفع مستويات المشاهدة، الأمر الذي يجعل من الإعلام بأبعاده القيمية والأخلاقية مغيبا نوعا ما في أوساط المجتمعات الإسلامية، حيث أنه لا توجد أيضا قواعد ونماذج عامة لماهية الإعلام القيمي كتخصص مهني ينافس المجالات الصحفية الأخرى، بل تتوفر سوى مجموعة من الرؤى والاقتراحات إضافة إلى بعض الاجتهادات الأكاديمية والنظرية على غرار نظرية الحتمية القيمية لصاحبها المفكر عبد الرحمان عزي، والذي حاول إبراز النقاط الجوهرية للقيم والمبادئ وآليات تسخير وسائل الإعلام كدعامة لتجسيد هذه الجوانب القيمية والتوعوية على أرضية الواقع.

فالعنصرية مثلا تعتبر واحدة من الظواهر الإنسانية السلبية التي تنشأ جراء العديد من الأسباب أهمها الاختلاف في العرق واللغة والمعتقد والرقعة الجغرافية، فالمطلع على تاريخ البشرية يعرف جيدا أن أغلب الصراعات والنزاعات كانت نتيجة لانعدام التوافق والانسجام في المميزات والخصائص الإجتماعية

والثقافية من جهة ومن جهة أخرى وجود فورقات على المستوى المورفولوجي والجيني وحتى الخلقي، فقد تسببت هذه المؤشرات في إراقة الدماء وهتك الأعراض في مختلف محطات التاريخ البائس لساكنة هذا الكوكب والتي لا تزال سارية المفعول إلى يومنا هذا، فعلى سبيل المثال كانت النازية في ألمانيا بقيادة الفوهرر هتلر نموذجا مناسبا وعنوانا شاملا للعنصرية العمياء التي أتت على الأخضر واليابس وراح ضحيتها الملايين من الأرواح والأبرياء بعد الحماقة التي ارتكبها العالم آنذاك ألا وهي الحرب العالمية الثانية تحت ذريعة تمجيد العرق الآري، والذي أثبت علم الجينولوجيا الحديث أن هذا العرق منتشر في معظم أرجاء الكرة الأرضية وبنسب متباينة، حيث أن نسبة الجينوم الآري مثلا في سلطنة عمان بلغ 12 بالمائة وهو نفسه في ألمانيا الاتحادية، والسؤال المطروح هنا كيف ستكون ردة فعل النازيين اليوم لو اكتشفوا هذه الحقيقة العلمية في هذه الفترة من الزمن تحديدا، لذلك فإن الإعلام لعب دورا كبيرا في نشر أفكار المتطرفة للحزب النازي وأعطى الزخم الكافي لتبني هذه الحقائق الزائفة والتي مزقت أواصر المحبة والتعايش بين أفراد المجتمع، وهنا بالضبط يتجلى ثقل الإعلام القيمي في قدرته على حماية المجتمعات والشعوب خاصة الإسلامية منها من مخاطر العنصرية التي تجسد بدورها الوقود المثالي للفتن والفوضى وحالات الصراع الأيديولوجي التي تفضي نهائيا على المكتسبات الإجتماعية والحضارية كالأمن والاستقرار والتعايش وغيرها من الإيجابيات الأخرى التي يجنيها المجتمع إذا ما تم فعلا البحث عن متطلبات والشروط الأخلاقية والقيمية للإعلام الإجتماعي في الدول الإسلامية عموما.

إن التطرف الديني بأنواعه رافق الجماعات والملل الدينية منذ الأزل فقد كان كذلك السمة الغالبة في مختلف الديانات سواء أكانت هذه المعتقدات سماوية أو فلسفية وضعية، فقد ظهر التشدد أو التطرف الديني كمحصلة للتنافر الفكري والمعرفي بين أصحاب الدين الواحد أو بين مختلف أتباع الأديان الأخرى، ومن مسببات هذا التضاد الفقهي هو الغلو في الدين الذي أدى إلى انعدام الاستيعاب العام للمعاني والقواعد الشرعية بالشكل المطلوب، ويتمظهر هذا التطرف بوضوح اليوم للأسف في بلدان العالم الإسلامي حيث أنه لم ينحصر في إطار المحاججة والاختلاف الفكري فقط بل تعداه إلى ماهو أخطر من ذلك والذي تمثل في مظاهر النزاعات المسلحة وتصفية الجسدية للشخصيات الوطنية وممثلي الديانات المختلفة،

والتي تسفك دماء المسلمين والغير مسلمين دون تمييز من الأبرياء إلى غاية كتابة هذه الأسطر وهو ما يفسر نسبيا الظروف والإرهاصات المحيطة بهذه الظاهرة في المجتمعات الإسلامية، والتي من أسبابها سوء التنشئة الإجتماعية وتغيب الوعي الإجتماعي إضافة إلى أهم عنصر وهو المسؤولية الإجتماعية لوسائل الإعلام تجاه قضايا التعايش والانسجام المدني والتي لا تتحقق إلا عن طريق تفعيل آليات الاندماج المجتمعي وتشجيع نماذج التكافل والتسامح الديني، فهذه هي الوظائف الرئيسية للإعلام القيمي والهادف التي نريد من خلالها تكريس وسائل الإعلام المتخصصة في هذا المجال لمكافحة الصراع الأيديولوجي والتطرف الديني دون تقويض للحقوق والحريات الأساسية للحياة الإجتماعية والممارسة الإعلامية في المجتمع مثل حرية المعتقد والحق في إبداء الرأي وغيرها من الشروط والواجبات المدنية الأخرى.

فالدول الإسلامية تحتل حيزا جغرافيا شاسعا وموقعا إستراتجيا هاما حسب المؤشرات الجيوسياسية، حيث يبلغ عددها 57 دولة ومساحتها الإجمالية 32م كلم مربع أما كثافتها السكانية فتمثل حوالي 2 مليار نسمة، كل هذه المعطيات جعلت من الأقطار الإسلامية أماكن وبؤر مناسبة للتنوع الثقافي والديني إلا أن الدين الغالب هو الإسلام بمختلف مذاهبه وفرقه، ويتميز العالم الإسلامي أيضا بفسيفساء عرقية وإثنية يتجلى معظمها في الهنود والعرب والأمازيغ إضافة إلى مجموعات الأكراد والأتراك والفرس، فالمعروف تاريخيا هو أن الحضارة الإسلامية نشأت بفضل تكاتف جهود هذه الأعراق المختلفة والتي يدين أغلبها بالإسلام وبعض الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، وينقسم المسلمون اليوم إلى مذاهب عدة نذكر منها السنة والشيعة والصوفية وغيرها من الطوائف الأخرى والتي وردت بالتفصيل في كتاب الملل والنحل لصاحبه أبو الفتح الشهرستاني، وعطفا على ما سبق ذكره فإن دولا إسلامية كثيرة اليوم تعيش حالة من الحروب الأهلية وانعداما للاستقرار الأمني الذي أثر على جودة وصلاحية الحياة والمواطنة في كنف هذه الأمصار، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات حول المنهاج الأفضل والسبيل الأمثل للحد من انتهاكات حقوق الإنسان والظواهر المرتبطة بإثارة الفتن بين مكونات المجتمع والتيقن الجميع بحتمية وإلزامية التعايش بين كل الأجناس البشرية.

ومن خلال ما ورد يمكن صياغة التساؤل الرئيسي التالي: **ما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام القيمي في مكافحة العنصرية والتطرف الديني في الدول الإسلامية ؟**

وتندرج ضمنه التساؤلات الفرعية الآتية:

1. هل يساهم الإعلام القيمي في تسليط الضوء على أهم النقاط السلبية المسببة للعنصرية والتطرف الديني في العالم الإسلامي؟

2. كيف يمكن توظيف وسائل الإعلام القيمي والمنظومة التربوية في عمليات التوعية بخطورة الفكر الديني المتشدد وسياسة إقصاء الأخر خارج الإطار المدني والاجتماعي؟

3. ماهي آليات تطبيق الإعلام القيمي على أرض الواقع في المجتمعات الإسلامية ؟

وللإجابة على تساؤلات الدراسة تم تقسيم وهيكلة البحث على النحو التالي:

المحور الأول: مدخل مفاهيمي نظري.

المحور الثاني: منهجية البحث.

المحور الثالث: التحديات التي تواجه الإعلام القيمي في العالم الإسلامي.

المحور الرابع: الإعلام القيمي والتنمية الإنسانية المستدامة في الدول الإسلامية.

المحور الخامس: آليات الإعلام القيمي ومراعاة الأبعاد السوسيوثقافية للجماعات الإثنية في البلدان الإسلامية.

1. المحور الأول: مدخل مفاهيمي نظري.

1.1. تعريف الفعالية:

. **لغة:** هي وصف في كل ماهو فاعل فهي مصدر صناعي من فاعل معناه مقدرة الشيء على التأثير والفاعلية من مادة (فِعل)، أو قدرة المشروع على تحقيق أهدافه بأقلّ تكلفة ، قال الفيروز آبادي: الفعل: حركة الإنسان، أو كناية عن كل عمل متعد.[1]

. **اصطلاحا:** تعرف الفعالية على أنها تلك العلاقة بين النتائج المحققة فعلا والنتائج المقدرة وذلك من خلال قياس الانحراف، وتعرف أيضا على أنها الإنتاجية المرتفعة وقدرة المؤسسات على التكيف مع البيئة

فضلا على الاستقرار والابتكار وبشكل عام تعني العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج.[2]

2.1. **مفهوم الإعلام القيمي:** هو كل ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة من رسائل إعلامية ملتزمة، تسعى للقيام بوظائف التربية ونشر القيم في المجتمع، من نقل للتراث الثقافي، وغرس لمشاعر الانتماء للوطن والتعايش بين كل المكونات، بحيث تتمكن مختلف فئات المجتمع من إدراك المفاهيم، واكتساب المهارات، والتزود بالخبرات، وتنمية الاتجاهات، وتعديل السلوك وفق منظومة قيمية إنسانية جامعة ومحددة..... (بتصرف)[3]

3.1. مفهوم العنصرية:

. **لغة:** يرجع هذا المصطلح إلى كلمة العنصر بفتح الصاد وهو الأفصح، وبضمها وهو الأشهر.[4]

. **اصطلاحا:** العنصرية هي مَذهبٌ قائمٌ على التّفرقة بين البشر حسب أصولهم الجنسية ولونهم. ويرتب على هذه التفرقة حقوقاً ومزايا، كما يمكن تعريف العنصرية بأنها الاعتقاد بأن هناك فروقًا وعناصر موروثة بطبائع الناس وقدراتهم وعزوها لانتمائهم لجماعة أو لعرق ما، وبالتالي تبرير معاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعياً وقانونياً.

كما يستخدم المصطلح للإشارة إلى الممارسات التي يتم من خلالها معاملة مجموعة معينة من البشر بشكل مختلف ويتم تبرير هذا التمييز بالمعاملة باللجوء إلى التعميمات المبنية على الصور النمطية وباللجوء إلى تلفيقات علمية، وهي كل شعور بالتفوق أو سلوك أو ممارسة أو سياسة تقوم على الإقصاء و التهميش والتمييز بين البشر على أساس اللون أو الانتماء القومي أو العرقي.[5]

4.1. مفهوم التطرف الديني: جاء في لسان العرب البن منظور قوله: تطرف الشيء صار طرفا، وتطرفت الشمس أي دنت للغروب، والتطرف الديني أحد أنماط التفكير الديني الذي يتجه إلى التصلب على قيم ومعايير والممارسات ضد المجتمع والعالم. وبهذا اللحاظ، فالتطرف الديني، فرديا أم جماعيا، مدعاة لإنتاج جميع وسائل النفي وفرض رؤى الإقصاء التي قد تنتهي إلى العنف والإرهاب بمبررات دينية من أجل إرضاخ الآخر المختلف. ليس التطرف الديني أو الأصولية ظاهرة حديثة، وإنما هو ظاهرة عرفتها كل المجتمعات

البشرية في التاريخ، بيد أنه في العصر الراهن، وإزاء المشكلات المختلفة التي تعيشها الدولة الوطنية في العالم العربي وتوتر علاقاتها بالمجتمع والعالم، برز التطرف الديني ونتائجه العملية ممثلة في الإرهاب الذي أزهق مئات آلاف الأرواح في العقود الأخيرة كأحد التحديات الكبرى التي تواجه المجتمعات والدول المعاصرة.[6]

5.1. ماهي الدول الإسلامية؟: توجد العديد من الدول الإسلامية المنتشرة في القارات السبعة، وتنتشر أغلبية هذه الدول في القارتين الآسيوية، والإفريقية، وتصنف هذه الدول وفق عاملين الأوّل يُعرف بغالبية السكّان أي أنّ التعداد يجب أن يزيد عن 50%، والآخر انضمام الدولة إلى منظمة التعاون الإسلامي المؤلفة من 53 دولة، في حين يبلغ عدد الدول الإسلامية الإجمالية 58 دولة توجد على مساحة إجمالية قدرها 32 مليون كم.

والتي تتوزّعُ بين قارة أفريقيا التي تضم 16 دولة إسلاميّة، وقارة آسيا التي تضمّ 27 دولة إسلاميّة، وقارّة أوروبا التي تضمّ دولة إسلاميّة واحدة، ويبلغ عدد سكان العالم الإسلامي حواليْ 1,361,441,883 نسمة، تطلّ دول العالم الإسلاميّ على أهمّ المحيطات والبحار على وجه الكرة الأرضيّة، وتقع على أراضيها أكبر بحيرات العالم، وهي بحيرة قزوين، وآرال، وتشاد، وفكتوريا، والبحر الميت.[7]

2. المحور الثاني: منهجية البحث.

يعد هذا البحث دراسة نظرية ذلك أن الباحث اعتمد فقط على بعض المصادر والكتب التاريخية والمذكرات العلمية التي نقلت لنا أرشيفا لا بأس به من الأخبار والأحداث التي تسبب فيها التعصب والتمييز العنصري والعرقي وأيضا جراء التعمق في مشاعر الغلو والتشدد والذي خلق ظاهرة سلبية جديدة في المجتمعات الإسلامية وهي التطرف الديني، وكذلك تم الاستعانة بأدوات بحثية أخرى تمثلت في الإطلاع المستمر على الإعلام الوطني والصحافة الدولية التي تنقل أهم مجريات الصراع السياسي والعسكرى في العالم الإسلامي إضافة إلى متابعة بعض المواد السمعية البصرية مثل الفيديوهات والصور، كل هذه الطرق والأساليب مكنتنا من استقاء مجموعة من المعلومات والمؤشرات حول أهم الأمور التي ساهمت في جعل منطقة العالم الإسلامي برميلا للبارود وخزانا دائما للعديد من الحروب والفتن إلى يومنا هذا، إذن فقد تم تقسيم هذه المصادر وفق الترتيب الآتي:

1.المصادر والكتب التاريخية: أهمها المواقع الإلكترونية الخاصة بالمرجعيات الدينية المتشددة ومجموعة من الكتب نذكر منها كتاب الملل والنحل لشهرستاني، وكتاب آخر بعنوان الدولة الأموية لكاتبه هيثم جمعة هلال وكذلك المجلة العلمية مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

2.المذكرات العلمية: نخص بالذكر منها مذكرة بعنوان وسائل الإعلام والقيم السياسية لدى النخبة المثقفة في الجزائر وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال للأستاذة حدادي وليدة، ومذكرة ماجيستير أخرى تحت عنوان العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية إعداد الطالبة إسراء مُحَمَّد نجيب أبو عمر جامعة الخليل- فلسطين-.

3.المواقع الإعلامية الإلكترونية: يتابع الباحث الكثير من المواقع الصحفية الإلكترونية باستمرار وبشكل روتيني، خاصة منها موقع الخبر الإلكتروني والشروق أون لاين وحتى المواقع الإخبارية الدولية مثل الجزيرة نت ومنصة فرنس 24 إضافة إلى موقع قناة dw الفضائية، فالملاحظ وجود اهتمام منقطع النظير بالأخبار والمستجدات الحاصلة في الدول الإسلامية على مدار الساعة ودون انقطاع.

4.المواد السمعية والبصرية: تم الاطلاع كذلك على العديد من الفيديوهات المتوفرة على موقع اليوتيوب، حيث كانت أولها اوبرا الضمير العربي ومجموعة من القنوات الخاصة بالمرجعيات الدينية وايضا عدد من الفنيات والتقنيات التصويرية الأخرى اهمها صيغة الفيديوجرافيك.

وعليه فقد تم تسجيل وجمع المعلومات عن طريق مراقبة عينات من المواد الوثائقية السابق ذكرها، وملاحظة مختلف العناصر المعرفية، دون إغفال أي عنصر أو إهماله، حيث يتم من خلال هذا الأسلوب دراسة المعلومات والحقائق التي تخدم مشكلة دراسة بصورة شاملة وتحلل بعد ذلك بغرض الحصول على النتيجة التي يهدف البحث لمعرفتها.

تتمثل أهمية هذا البحث في العمل على تحديد الأسباب والفواعل التي ساهمت في إحداث الاتوافق والتفرقة في مفاصل الأمة الإسلامية، وذلك عن طريق معرفة الدور الذي لعبته الفتاوى الدينية المتطرفة وكيف شاركت قنوات الإتصال التقليدي آنذاك في نشرها على نطاق واسع، فالتاريخ يعيد نفسه اليوم ذلك أن قادة الأديان والفرق يستغلون الوسائط الاعلامية المتنوعة بشكل ملفت للترويج لمختلف الأفكار

والسموم بهدف التحريض على تعكير صور التعايش بين الناس وتهديد حياة الآمنيين الأبرياء دون وجه حق من خلال إصدار الفتاوى الإقصائية والتكفيرية ضد الساكنة مهما تنوعت انتمائتهم الفكرية والعقائدية.

فالهدف من هذه الدراسة هو السعي للبحث عن الآليات والحلول العلمية والنفسية وكذلك الإعلامية القادرة على تغير الأوضاع السلبية التي تعيشها المنظومة القيمية والأخلاقية داخل المجتمعات الإسلامية، والسعي للتقويض مصادر التطرف العنصري والديني الذي أنهك جسد الأمة الإسلامية ولو نسبيا.

أما فيما يتعلق بمنظور الدراسة فقد ركز الباحث على استخدام نظرية الحتمية القيمية للمفكر عبد الرحمن عزي والتي تعتبر من أنسب المنظورات لإشكالية هذا البحث وأكثرها ملائمة، باعتباره تنظر للمجتمع والإعلام ومختلف المكونات والهيئات كشبكة من العلاقات الاجتماعية، فهذه "النظرية تنطلق من افتراض أساسي يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد، ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابيا إذا كانت محتوياته وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا وبالمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر، ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى المخيال الإعلامي (في مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي الرمزي، والوضع و الخيال "والتمعقل" (من استخدام العقل) وفعل السمع والبصر والبنية القيمية وغيرها، وهي بمثابة مباحث فرعية يرتكز عليها النسق الكلي في هذه النظرية".[8]

أما أهم الركائز –المبدئية– التي تقوم عليها النظرية فتتمثل حسب عبد الرحمن عزي في:

– أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية والحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.

– أن يكون الاتصال تكامليا؛ فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي، مع التركيز على المكتوب لأنه من أسس قيام الحضارات.

– أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.

– أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.[9]

ومن خصائص البحث العلمي اعتماده على منهج يسير عليه في دراسة موضوعه، وذلك للوصول إلى نتائج موضوعية يمكن تعميمها فالمنهج هو" الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد الهامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتائج معلومة".[10] ، هو طريقة علمية يتم من خلالها تفسير الظواهر الملاحظة وتحليلها من أجل تحقيق الأهداف المتعلقة بالمشكل المطروح.

حيث ومن خلال تطرقنا وسعينا لدراسة موضوعنا "فعالية الإعلام القيمي في مكافحة العنصرية والتطرف الديني في الدول الإسلامية"، اعتمدنا على المنهج الوصفي، لأنه يمهد ويسهل للباحث فهم الظاهرة أو المسألة المراد دراستها بواسطة التشخيص الأمثل للعناصر المهمة في البحث.

3. المحور الثالث: التحديات التي تواجه الإعلام القيمي في العالم الإسلامي.

يواجه الإعلام القيمي في العالم الإسلامي تحديات كبيرة ساعدت في إطالة عمر الأزمات والفتن التي اجهضت كل جهود ومساعي التسوية وإحقاق السلام في معظم أرجاء الدول الإسلامية، فقد سيطرت ممارسات التمييز العنصري والإرهاب على المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي، وبالعودة إلى الحديث عن هذه التحديات فإنه يمكن حصرها في باقة من الآفات الإجتماعية والمشكلات الذهنية التي عقدت الوضع أكثر ونخص بذكر منها نقص الوعي والذي تشكل جراء تدني المستوى التعليمي وانعدام الشروط الفعالة لتطوير المناهج التربوية العلمية والمعرفية والتي انعكست سلبا على اعتناق وتقبل الأفكار الإعلامية ذات الأبعاد القيمية والراقية في المجتمع هذا من جهة، ومن جهة أخرى التعصب العرقي والقبلي الذي يعتبر من الظواهر السائدة في المجتمعات الشرقية إذ أن الصراع بين الكيانات القبلية لا تزال تلقي بظلالها على الساحة السياسية والحزبية منذ عقود وإلى غاية كتابة هذه الأسطر فحتى الإعلام الشمولي والسلطوي في بعض الدول العربية لم يستطع القضاء على هذه الخصائص العرقية والقبلية السلبية بشكل نهائي، فالمعروف هو أن هذه المكونات القبلية والعرقية المعقدة لم

تكن يوما مدعاة للتكامل والتنوع الثقافي بل كانت من أكبر النقاط التي تم استغلالها وتوظيفها لإضعاف البنى الإجتماعية والثقافية للأمم الإسلامية.

وعطفا على ما تم التطرق إليه فلا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء الدور الذي لعبه الاستعمار الغربي للدول الإسلامية في بداية القرن 19 عشر، وما إنجر عنه من استدمار واضطهاد وتشويه للمميزات الحضرية واللغوية والتراثية وغيرها، فالمطلع على مجريات الاستعمار اللاتيني للعالم الإسلامي يلاحظ بسهولة مشاريع الإخضاع والتبشير الديني الطوعي الذي لم تسلم منه الجماعات والفرق الدينية باختلاف وتنوع عقائدها والتي بقيت سارية المفعول إلى حد الساعة فقد نجحت هذه القوى الاستعمارية في خلق مجموعات مسيحية دينية جديدة ذات انتماء غربي واضح، كل هذه المآسي شكلت صعوبات جمة أثرت على توازن الخطاب الإعلامي بعد استقلال هذه الدول، حيث بقي السواد الأعظم من هذه الأقسام الديموغرافية في العالم الإسلامي يحتفظون بمظاهر الثقافة الاستعمارية الغربية ويستميتون من أجل حماية هذا الإرث الاستعماري الدخيل على المجتمع، والذي أنتج أنماط مماثلة للاستعمار العسكري وهي كما سماها المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي التبعية الثقافية والقابلية للاستعمار، والتي تعد من أعتى التحديات التي تؤجل تطبيق الجوانب القيمية للإعلام الرسمي والغير رسمي على حد سواء في المجال الجغرافي الإسلامي.

ومن أحدث العقبات التي تقف في وجه تطبيق الإعلام القيمي في وقتنا المعاصر هو التآمر وسياسة دعم الأقليات العرقية والدينية في العالم الإسلامي والتي أدت إلى خلق مبررات واهية وغير مقنعة للتدخل السافر في الشؤون الداخلية الخاصة بالممالك والجمهوريات الإسلامية، فتكالب القوى العظمى على المنطقة الإسلامية لم يكون من فراغ بل انطلق من قاعدة إستراتيجية واستخباراتية مدروسة تهدف بالدرجة الأولى إلى حماية المصالح الطاقوية والتجارية وكذلك الحفاظ على مكانة هذه القوى بين البلدان المنافسة لها والهيمنة على الدول المتخلفة وأشباه الدول الأخرى، حيث جندت هذه الإمبراطوريات الهيئات والمنظمات الدولية الحكومية والغير حكومية على غرار هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لشرعنة حملاتها وغاراتها العسكرية على المستضعفين من الدول خاصة الإسلامية منها، فالمدقق في تاريخ حروب الولايات المتحدة الأمريكية خلال الألفية الأخيرة في أفغانستان 2001 والاجتياح الأمريكي للعراق في 2003 يعي بسهولة الذريعة

التي اتخذها الأمريكيون كقوة ضاربة لزعزعة استقرار هذه الدول من خلال التدخل تحت عباءة حماية الأقلية المسيحية في أفغانستان وتجنيبها بطش حركة طالبان، أما في العراق فقد جاءت هذه الحملة حسبهم لإنقاذ الأقلية الكردية من الإبادة العرقية التي كان يمارسها نظام الشمولي لصدام حسين آنذاك فهذه الآلة الحربية لم تتحرك إلا بعد الاستعانة بترسانة إعلامية ودعائية ضخمة عملت على تعبئة وتوجيه الرأي العام المحلي والعالمي وإقناع شرائح كبيرة منه بضرورة هذه الحرب بالنسبة لتمجيد التاريخ الامريكي وأيضا بهدف حماية الأمن القومي والدولي بشكل عام، فقد ساعد هذا التفوق التكنولوجي والإعلامي الرهيب على تعطيل كافة الميكانيزمات التقليدية للإعلام الحكومي المضاد والذي لم يجابه التحالفات الغربية والإعلامية الكبرى ولم يوفق في توحيد الصفوف ضد العدو ويحافظ على توطيد مشاعر اللحمة والتضحية في سبيل الوطن وذلك لافتقاره المؤشرات القيمية والاحترافية وتدهور مقاييس تأثيره في المجتمع باعتباره إعلاما سلطويا موجها لا يخدم التطلعات الحضارية والإنمائية التي تنشدها الأمة الإسلامية جمعاء.

وبعد الحديث عن كل هذه التحديات لا يمكن أن نغفل تأثير النزعة المادية على مضمون الإعلامي في الدول الإسلامية وذلك طبعا في السنوات الأخيرة، فمع طغيان الثقافة الاستهلاكية وانتشار المراكز التجارية وكثرة الوحدات الصناعية والشركات المتعددة الجنسيات، تهافت المعلنون والمصنعون بكثافة على المنابر الصحفية والإعلامية الخاصة والعمومية قصد التعريف بخدماتهم والتسويق لسلعهم وذلك من بوابة الصناعة الإشهارية والتي حتمت على معظم وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية تخصيص حجم معتبر من الحجم الساعي لعرض الومضات الإشهارية والفواصل الإعلانية التي تكون ربحية في أغلب الأحيان، فأنتجت هذه الفوضى الإشهارية محتوى إعلامي لا يلامس الواقع الحقيقي لفئات كثيرة في المجتمع ولا يساهم في تفعيل الجوانب الأخلاقية والقيمية التي تكافح القولبة الإعلامية وتقلل من الظواهر السلبية وترفع مستويات الوعي الحضاري العام، فإن تغليب الكفة بالنسبة للجوانب المادية في الإعلام له عواقب جمة أهمها التضليل والتعتيم الذي لا يخدم مصداقية وسمعة الإعلام بكافة أبعاده ويجعل منه مدعاة للتشكيك والتخوين وعدم القبول من قبل فئات ومجموعات على نطاق واسع، فتطبيق الإعلام القيمي يحتاج في حقيقة الأمر إلى تهيئة العوامل الأساسية المساعدة على تبني وتقبل هذه المنظومة الإعلامية القيمية بشغف

وحماس عند عامة الناس مهما تباينت ميولاتهم ورغباتهم، وبتالي التأكد من صيانة الخصائص الأنثروبولوجية الإسلامية من خطر الاندثار ومن هجمات بعض المستشريقين الحاقدين على مناقب وأمجاد المسلمين.

إن أبرز المعضلات التي تصعب من مهمة الإعلام القيمي في الدول الإسلامية هي مسألة العولمة وعمليات التنميط الفكري والإستهلاكي والتي تسيطر على فئات إجتماعية واسعة حيث يتخذها عامة الأشخاص الآن كأسلوب معيشي راقي وحضري ينافس ويتفوق بدوره على الطريقة التقليدية في العيش والتي ينظر إليها في هذه المجتمعات على أنها دونية ومتخلفة نوعا ما، فالأمركة أو العولمة هي صورة من صور الصراع الثقافي والسياسي الذي باشرته الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارها الرابح الأكبر في هذه الحرب على كافة المستويات والأصعدة وقد اشتد هذا التنافس في البدايات الأولى من الحرب الباردة ضد الإتحاد السوفياتي فتم تسخير كل الأدوات والمقاربات والإستراتجيات لتحقيق هذا المبتغى بجدية وفعالية وذلك بهدف إظهار تحكم وهيمنة الولايات المتحدة على العالم، وأفضل مثال على ذلك هو نظرية اجتياز المجتمع التقليدي التي ابتكرها دانيال ليرنر وآخرون والذى حاول الترويج لبروتوكولات معيشية جديدة خارجة عن النطاق السيميولوجي المتوارث في المجتمعات الإسلامية فقد اختار عينة من دول الشرق الأوسط كالبنان وتركيا وحاول إسقاط فرضيات هذه النظرية كي يفهم الأرضيات السوسيوثقافية لهذه الأمم بما يعزز الوجود الأمريكي في المنطقة ويحد من النفوذ السوفياتي الذي تغلغل في أغلب أنظمة الحكم في العالم الإسلامي بعد الحركات التحريرية من قيود الاستعمار الغربي.

1.3. موقف وسائل الإعلام الغربي تجاه الإسلام والمسلمين:

يمكن حصر أهم الصور النمطية التي يتم ترويجها عن الإسلام في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية في ما يلي:

– جاءت صورة الإسلام بصفة عامة في وسائل الإعلام الأوربية المختلفة، سواء الصحف أو المجلات والإذاعات والتلفزيون صورة سلبية وسيئة ومشوهة في الغالب، فالصورة كانت منفرة، ولقد وصف المسلمون بأوصاف بدائية وهمجية، إلا في القليل جدا من المعالجات الإعلامية، والتي تبقى غير ذات تأثير مقارنة مع

السائد، إضافة إلى كونها مرتبطة بصاحب التغطية الذي يكون موضوعيا في كل ما يقدمه وليس بالنسبة للقضايا الإسلامية فقط.[11]

– كان هناك نزوع نحو ما يطلق عليه في لغة الإعلام" بشيطنة العدو"، والعدو هنا في العديد من الحالات يتمثل في الإسلام والمسلمين، ويقوم هذا المبدأ على التحويل المعنوي لهذا" العدو "إلى شيطان، أي شر مستطير ومتجسد، أو نزع الصفة الإنسانية عن العدو بحيث يستحق عقابا صارما يسمح للمضطهِد أن يمارس اضطهاده على المضطهد، دون أن يكون مطالبا بتطبيق الشرائع ومواثيق حقوق الإنسان المعروفة في التعامل مع البشر.

– ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في أطروحاتها وفي حركيتها، ويتأرجح هذا الاختلاف ما بين الاعتدال والتشدد، وقد تم استغلال أحداث تورط فيها بعض الإسلاميين المتشددين من أجل إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولقد اعترف العديد من الإعلاميين بوجود صورة خاطئة عن الإسلام والمسلمين في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية.

– استخدمت وسائل الإعلام الأوروبية عدة وسائل لإبراز الصورة السيئة للإسلام والمسلمين، من قبيل العناوين المثيرة والتي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي، والتكرار والاجترار المستمر خاصة في أحداث العنف والربط بين الإسلام والإرهاب، والضرب على وتر المشاعر والأحاسيس الإنسانية باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسيا وموحية بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل إيصاله وباتخاذ الموقف الذي تطمح إليه، ثم التأثير على المتتبع مستغلة جهله بالإسلام واعتماده على ما تقدمه له من معلومات وأحكام جاهزة، ومستغلة كذلك المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنهم يشكلون الخطر والعدو.

–ركزت وسائل الإعلام الأوروبية على بعض الأفكار الحديثة في الجوانب الخاصة بالإسلام والمسلمين، مثل فكرة" صدام الحضارات "التي قدمها المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون، والترويج الإعلامي على أن

الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، إلى جانب قضية الأصولية والجماعات الإسلامية وإيديولوجياتها باعتبارها موضوعات مرتبطة بالإسلام والمسلمين. [12]

ويواجه الإعلام الإسلامي مشكلات خطيرة في طريق عمله الشاق في توعية العقول، وصياغة الأفكار، وأساليب البناء العقائدي والثقافي والحضاري للأمَّة المسلمة، ويمكن القول:إنَّ هذه المشاكل أو الإشكاليات أو المشكلات بعموم ألفاظها اللغوية الجائزة، ليست عامة على وجه الإطلاق في إعلامنا الإسلامي بل قد تكون هنالك مشاكل لدى بعض الوسائل الإعلامية المتاحة فتختلف هذه المشاكل من وسيلة إعلامية إلى غيرها من ضروب الإعلام باختلاف أنواعه.[13]

4. المحور الرابع: الإعلام القيمي والتنمية الإنسانية المستدامة في الدول الإسلامية.

لقد عرف مفهوم التنمية تحولات كبيرة حيث انتقل من المفهوم الضيق القائم على الكم الاقتصادي الى المفهوم الواسع القائم على انسانية الانسان او محورية الإنسان اي ان التنمية عملية لتوسيع الخيارات الانسانية ببناء القدرات الانسانية من جهة والانتفاع بها عن طريق توظيف هذه الكفاءات والقدرات الانسانية في جميع مجالات النشاط الانساني. لتمكين الافراد من المشاركة في مختلف مجالات الحياة اليومية العملية والاجتماعية في المجتمع، أي توسعة مفهوم التنمية بحيث يشمل مختلف الجوانب المتعددة للتنمية وليستوعب مبدأ التكامل والترابط مع حقوق الانسان لتكتسب الشمولية التي تقتضيها الحاجات الانسانية الآنية والمستقبلية، من اجل العيش بكرامة والتحرر من العوز والخوف وبلوغ المساواة والمشاركة والعدالة الاجتماعية بحيث تصبح البيئة المجتمعية ملائمة للتمتع بكامل حقوق الانسان والانتفاع منها لكافة الفئات المجتمعية الضعيفة والمهمشة، وتقليص فجوة التباعد في القدرات وتقليص الفجوة بين الدخول المالية من خلال حقه في التعليم والتدريب.

فإن استعاب هذه المجتمعات للتنمية الانسانية بمفهومها الشامل القائم على حقوق الانسان يعطيها قيمة اضافية من مبدأ الشرعية والقيم الاخلاقية والدينية والعدالة الاجتماعية، وتعمل على تمكين الافراد في مجتمعاتهم للانتفاع من بيئتهم مدركين لحقوقهم متجاوزين كافة المعضلات التي تحول دون ذلك ولمواجهة التحديات المستقبلية المتنوعة منها الامن المجتمعي ودعم المنظمات المجتمعية والأهلية بعد تأهيل كوادرها

لتقوم بالواجبات الموكلة اليها وتنسيقها مع كافة الجهات المعنية، فهناك عولمة الفقر والجوع وعولمة العنف والصراعات وعولمة التهديدات والمخاطر التي تحتاج العديد من الدول المجاورة سواء أكانت إسلامية أو غيرها، فالمطلوب اليوم هو تهيئة مجتمع يكون اكثر عدالة وإنسانية. [14]

ولم تعد التنمية تقتصر على البعد الاقتصادي فقط.بل أضحت أوسع وأشمل من ذلك بكثير،ويوجد شبه إجماع من قبل الباحثين في شأن الإعلام التنموي على تحديد مفهوم التنمية بمفهومها الشامل،حيث تعد التنمية عملية ديناميكية، شاملة، ومعقدة، وعميقة،وواعية،ومقصودة ومدروسة.تتم بالإنسان ومن أجل الإنسان.وتهدف إلى إحداث تحولات واسعة وشاملة وعميقة في المجتمع.وفي مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية.وهذا ما يؤكد أنها عملية مرتبطة بالظروف الخاصة، والإمكانات والموارد المادية والبشرية،ومن ثم لا يمكن استيرادها أو استعارتها بصورة جاهزة، بل هى مشروع يجب العمل عليه. وتؤكد الأدبيات الحديثة للتنمية،أن التنمية عملية حضارية شاملة ومستدامة،وتقوم بالأساس على كاهل الإنسان ومن أجل الإنسان ذاته وباعتبار أن الإعلام ركن مهم في عملية التنمية المستدامة والشاملة. ومعنى ذلك أن التنمية ليست عملية اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو تربوية منفردة بل هى مزيج من هذا كله، وربما تعدتها إلى جوانب أخرى غيرها.وهى عملية إنسانية هادفة،وواعية،ودائمة التغيير. [15]

وتعيش الكرة الأرضية الآن مجموعة من المشاكل التي تحيط بالبيئة والموارد الطاقوية وسوء استخدام الإنسان لها، وهو ما يجعل من قضايا التنمية قضية إنسانية ملحة لا غى عنها بالنسبة لشعوب العالم، وبالأخص بالنسبة للشعوب النامية أو الأقل نموا، ومنها البلدان الإسلامية بطبيعة الحال، التي خلفت لها قوانين العولمة ذات النزعة الغربية بوجه عام والأمريكية بوجه خاص العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة. [16]

إن التنمية الإنسانية المستدامة تشكل البيئة الملائمة التي تضمن للجميع التمتع بكامل حقوق الإنسان الأساسية، مع ضمان استمرار الانتفاع للأجيال القادمة، خاصة للفئات الضعيفة والمهمشة كالمرأة والأقليات. لكن توجد العديد من المعوقات التي تحول دون الانتفاع الإنسان بحقوقه: كالفقر والفساد، نقص المعونة وانخفاضها، المديونية، الصراعات والحروب، الإنفاق العسكري، الأمراض المعدية، وغيرها من

المعيقات. لذلك يبقى الحكم الراشد وسيلة ضرورية لمواجهة هذه المعوقات، خاصة عن طريق مبادئه الأساسية الضامنة لحقوق الانسان والتنمية: كالمساواة، وعدم التمييز، العدالة الاجتماعية، المشاركة الفعالة، المساءلة، الشفافية، وسيادة حكم القانون حيث يعد تطبيق الحكم الراشد عامل مهم للقضاء على لفقر والفساد. وفي الأخير من الملائم أن نشير إلى أن التنمية الإنسانية المستدامة لن يكون لها أي معني إذا لم تتحقق أهدفها مثل: المساواة بين الجنسين، حماية البيئة واستدامتها، التسيير العقلاني للموارد الطبيعية والإنسانية، وغيرها من الأهداف الألفية للتنمية.[17]

وبما أن الإعلام القيمي يسعى للحفاظ على القيم الإنسانية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي، فلا بد من تثمين ومرافقة كل مبادرات التعايش والتضامن الإجتماعي من خلال التغطية الإعلامية المكثفة لمثل هذه الفعاليات الإجتماعية التي ترسخ معاني التكافل والمواطنة ضمن مجال التنمية الإنسانية المستدامة وعلاقتها بحقوق الإنسان والحريات العامة، فنجاح إستراتجية الإعلام القيمي في تحقيق الاستدامة الإنسانية في البلدان الإسلامية يتوقف على تحديد معالم الثقافة البشرية المشتركة بين الفئات والطوائف التي تتكون منها المجتمعات الإسلامية كتوفير الحقوق والواجبات الأساسية للحياة الكريمة، والتي لا تتعارض شكلا ومضمونا مع المنطق والسمات الفطرية المتعارف عليها في الاتفاقيات والمواثيق الدولية.

5. المحور الخامس: آليات الإعلام القيمي ومراعاة الأبعاد السوسيوثقافية للجماعات الإثنية في البلدان الإسلامية.

إن الحديث عن مواصفات الإعلام القيمي في العالم الإسلامي ومدى ملائمته للتنوع الإثني والعرقي التي تزخر به المجتمعات الإسلامية يعتبر اللبنة الأولى لبناء صرح إعلامي قيمي يستطيع التجاوب مع مختلف المطالب والجوانب السوسيوثقافية للجماعات الدينية والثقافية ويحقق كذلك الإنسجام المطلوب والمراد من وراء هذا الطرح الذي يهدف في الأساس للقضاء على الكراهية والتعصب وسياسات الإقصاء الممنهجة، فقد عرفت الدول العربية باعتبارها منطقة تابعة للحيز الجغرافي الإسلامي صفحات تاريخية غير مشرفة بعد الحملات التحررية واستقلال من قيود الاستعمار الغربي، حيث باشرت أغلب هذه الكيانات المستقلة حديثا بانتهاج مجموعة من الإجراءات التعسفية والتي تمثلت في تأسيس الأحزاب السياسية البعثية، والتي

كانت تروج للقومية العربية كفكر شمولي إقصائي أدى إلى عدم الاعتراف بالمركبات السوسيوثقافية والعقائدية للفرق الإجتماعية الأخرى، في حين قام الكثير من المناضلين المحسوبين على التيارات الأمازيغية والكردية مثلا بمواجهة حملات التعريب والغزو الإيديولوجي بالمطالبة بالعديد من الحقوق الثقافية وتمتع بالحكم الذاتي وأيضا اللجوء للقوى العظمى في العالم بهدف التدخل في هذه الدول تحت ذريعة حماية الأقليات الثقافية والإثنولوجية.

فالأبعاد القيمية للإعلام تستوجب الاهتمام الدقيق بكل شاردة وواردة في ميدان تقنيات الإنتاج والإخراج الصحفي والإعلامي بالإضافة إلى السعي لامتلاك أفضل الوسائط التكنولوجية التي تحسن جودة ونوعية المضمون والمحتوى الإعلامي، هذه المؤشرات تعبر عن المكون المهني لصناعة الإعلامية بشكل عام إلا أن احترافية ومرونة الخطاب الإعلامي القيمي تعد حجر الزاوية في نجاح أو فشل الرسالة الإعلامية الهادفة، فالمراد هنا هو التعرف على معدلات الاقتناع والتأثير التي يحدثها الإعلام من خلال تصميم البرامج الحوارية الموضوعية التي تنشر الأفكار والمعتقدات الحضرية والبناءة والتي لا تصطدم مع القيم الأخلاقية الشاملة وتساعد في تجسيد الرضى المجتمعي على مساحة واسعة، فنجاعة هذا النمط من الإعلام يلاحظ تطبيقيا وفعليا عن طريق استشعار التكاتف الوطني وحب الانتماء والافتخار بالعيش في إطار هذا الخليط الثقافي الذي تسوده القيم والأخلاق وسيادة القانون الذي لا يشرع الانقسام الإجتماعي ويكافح التعصب والتطرف الديني بحزم وفعالية.

ويتصاعد بشكل ملحوظ، إحساس المجتمعات المعاصرة بضرورة تطوير وسائل بناء السلام، وتشجيع توجهات التعايش والتعاون، سواء أكان ذلك ضمن الدولة الواحدة، أم بين الدول. نما هذا الإحساس من إدراك أن النزاعات لا تنتهي عند انتصار طرف وانهزام آخر بحد السلاح، إذا ما تركت أسباب النزاع قائمة من دون إزالة أو حل؛ وبالتالي فقد تولدت قناعة بأن توطيد سلام دائم، يتطلب تعاملا موضوعيا ومنصفاً مع الأسباب الحقيقية الكامنة وراء النزاع؛ سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية أم ثقافية .... أو كانت أسبابا تتصل بالنيل من كرامة الإنسان، أو الإخلال بميزان التكافؤ، في حقوق المواطنة وواجباتها بين المواطنين كافة؛ ذلك أن لا صحة علميا، في الزعم أن في طبيعة الإنسان، كأمر فطري، ما يغلب فيه

نزعة العداء واللجوء للعنف، على رغبة الحوار والتعايش السلمي مع الآخرين، سواء ضمن المجتمع الواحد أم ما بين المجتمعات، بل على العكس من ذلك؛ فالقرائن تشير بوضوح، إلى أن ما يدفع للخصام واستعمال العنف، هو خلل يطرأ على العلاقات ما بين الأفراد أو الجماعات أو الدول، وعندما يتفاقم الخلل نتيجة استمرار أوضاع متعسفة مجحفة، يزداد الإحساس بالاضطهاد والتمييز، فيقوى النزوع لرفع الظلم باللجوء لأي وسيلة متاحة، بما في ذلك ممارسة الكفاح المسلح ضد الآخرين.[18]

وتطرح علاقة وسائل الإعلام والاتصال بالمجتمع الكثير من الاشكاليات والجدليات حول الوظائف والتأثيرات المحتملة على الأفراد والجماعات؛ خاصة في ظل الظروف والمعطيات الجيوسياسية، والتحولات السوسيوثقافية الراهنة، والتي جعلت من مؤسسات الإعلام بمختلف أشكالها، أدوات لغرس الأنماط السلوكية، والترويج للمنظومات القيمية من جهة، وأداة لإدارة الصراع السياسي والاقتصادي، والتلاعب بالرأي العام خدمةً للمصالح، وتمريرا للسياسات؛ المحلية، الإقليمية والدولية من جهة أخرى، فامتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها بطرق مباشرة أو ملتوية، نتج عنه صناعة؛ إعلامية ثقافية مرتكزة على المنطلقات الفكرية والايدولوجية، وأضحت بذلك وسائل وأجهزة توظف بشكل فعال وحاسم في عمليات التضليل، فالإعلام لا ينقل الواقع، بل يعيد إنتاجه وفق مصالح وأهداف من يقف وراءه، حيث نجد الطرف الأول للعملية الاتصالية، يعلم تماما ماذا يفعل وكيف، أما الطرف الثاني فلا يدرك؛ في الغالب، أن من زوده بالمادة الاعلامية يحاول الاستحواذ على عقله وتوجيه طريقة تفكيره، ويقول في هذا الشأن إدوارد بيرنز:" لو فهمنا آليات الفعل الجماعي ودوافعه، أليس من الممكن التحكم والسيطرة على الجماهير."[19]

. تحليل النتائج:

انطلاقا مما تقدّم عرضه في هذا الموضوع نستخلص مجموعة من النتائج التي توصل إليها الباحث في ظل توفر المؤشرات الأساسية التي تم استباطها طبعا عن طريق الاستعانة بالملاحظة العلمية البسيطة لعينة البحث، والتي تمثلت في بعض النماذج والقضايا التي صنعت الرأي العام حول التقارير الإعلامية التي عالجت موضوع **العنصرية والتطرف الديني في الدول الإسلامية** وأيضا المحددة في كل المصادر السابق ذكرها في منهجية البحث، وتمثلت النتائج المتوصل إليها في ما يلي :

– الدول الإسلامية لا تزال تعاني من الانقسام والتشتت بفعل النعرات القبلية والعرقية، وفي بعض الأحيان نلاحظ التعصب للهجات المحلية والطقوس الشعبوية.

– تعتبر الدول الإسلامية خاصة العربية منها المناطق الوحيدة في العالم التي تشتهر بالحروب الأهلية والاقتتال الدائم، وهذا جراء الصراع على السلطة من قبل أطراف معينة ذات خلفيات مذهبية وثقافية متباينة مدعومة بوسائل إعلام مؤثرة ونافذة.

– تتمتع المنطقة الإسلامية بموقع جغرافي إستراتيجي وبمصادر طبيعية وطاقوية مهمة لم تستفد منها شعوب العالم الإسلامي، وهذا راجع للتسيب السياسي والفساد الإداري المستشري في جسد الأمة والذي ساهم الإعلام المتواطأ في استفحاله.

– البلدان الإسلامية في وقتنا المعاصر تمثل حقل تجارب للكثير من الأسلحة والتكنولوجيات العسكرية المتطورة، وذلك بسبب الإعلام الموجه وتوفر البيئة المناسبة لازدهار تجارة السلاح كالنزاعات والفتن وطول الأزمات الأمنية بين أبناء الوطن الواحد.

– أغلب المجتمعات الإسلامية تتميز بسمعة سيئة في المجتمع الدولي ذلك أنها تعد المصدر الوحيد والأوحد لتعشيش المنظمات الإرهابية في العالم مثل القاعدة وداعش وأيضا حركة طالبان في أفغانستان وبوكو حرام في نيجيريا...إلخ.

– الصراع الإيديولوجي في الدول الإسلامية والمدعوم بترسانة إعلامية غير قيمية لا يتسم بالسلمية بل سرعان ما يتحول إلى آلة للحرب والتهجير، حيث ينعدم الوعي الإجتماعي العام في أوساط المجتمع الإسلامي بأمجاد الحضارة الإسلامية والتي كانت نتاجا لتعايش بين كل المكونات العرقية والدينية المختلفة. (نموذج التعايش في الأندلس)

– معظم المجازر والأحداث الأليمة التي ألمت بالمجتمعات الإسلامية في التاريخ المعاصر والتي ووثقها الإعلام، كان بنفس الأسباب ألا وهي العنصرية والتشدد الديني وتغليب المصالح الجهوية على حساب المصالح العليا للأمة.

وعلى ضوء هذه النّتائج العلمية المتوصّل إليها يجب البحث عن الحلول والاقتراحات الكفيلة بمعالجة هذه الاشكالية بدقة واحترافية وذلك من خلال ما يلي:

– وجوب القيام بدراسات أكاديمية معمقة لفهم وتحليل هذه الصراعات والنزاعات المسلحة والتي دامت لعقود كاملة، وذلك بهدف معرفة منشأها ومسبباتها واحتوائها بالطريقة المناسبة والمثلى.

– السعي لفتح المجال أمام الحوار الإعلامي الجاد والنقاش البناء بين شيوخ القبائل والمرجعيات الدينية، بما يحقن دماء الناس ويصون أعراضهم.

– إقناع رجال الدين وأصحاب الرؤى والأفكار السياسية من النخبة في المجتمعات الإسلامية بأن لا يلقوا باختلافاتهم الفقهية والنظرية للشارع بعشوائية ودون أي ظوابط.

– تسخير منظومة إعلامية جديدة قائمة على أسس قيمية وتوعوية فعالة، من خلال توظيفها للتصدى لمختلف الممارسات العنصرية والشعبوية والتي تغذي مشاعر الشقاق والكراهية في المجتمع.

– الاستفادة من الترويج الإعلامي المكثف والمستمر لمختلف لصور التعايش الإنساني على المستوى المحلي والإقليمي وحتى الدولي ومحاولة تطبيقها وإسقاطها على المجتمع الإسلامي.

– الاعتماد على الإعلام القيمي في التعريف بالآليات القانونية واللوائح التنظيمية والعقابية المقننة ضد العنصريين والمتشددين، وذلك طبعا بعد شرعنتها وجعلها سارية المفعول.

. خاتمة:

إن مسؤولية الإعلام القيمي في الضوء المآسي التي تعيشها الأمة الإسلامية مؤخرا تتمثل في تكييف هذا الأخير ليصبح حامي حمى الخصائص الحضارية والثقافية للمجتمعات الإسلامية، وفي سياق أخر هو السعي من أجل ترسيخ معاني التعايش والتسامح عند الأجيال القادمة عن طريق المزاوجة بين المنظومة التربوية والإعلام القيمي، فهذا التكامل الوظيفي بين القطاعين سينتج مناخا جيدا للعيش بسلام بين كافة جزئيات المجتمع الإسلامي فالتنشئة الإجتماعية وفق هذا المنهج ستكون الحل الوحيد لمكافحة العنصرية والتطرف الديني، وليس هذا فحسب بل ستتعامل بحكمة ودراية مع إشكالية الصراع الأيديولوجي، وذلك

بواسطة التأكيد على حتمية وضرورة التعايش بين البشر باعتبار أن هذه الظاهرة الأخلاقية نادت باحترامها مختلف الشرائع الإلهية والوضعية عبر الكثير من محطات التاريخ الإنساني.

. الهوامش:

[1] القاموس المحيط، (د.س)، بيروت، ص1043.

[2] ماجد عرسان الكيلاني، التربية والتجديد، الإمارات العربية المتحدة، 2005 ، ص 21.

[3] نقلا عن موقع: https://bit.ly/3vTYcfj

[4] ابن‌منظور، لسان العرب، رضا أحمد، معجم متن اللغة، (د.س)، ص221.

[5] نقلا عن موقع: https://bit.ly/3eBXzBv

[6] مؤمنون بلا حدود، فهم التطرف الديني الأسس الإيديولوجية والحالات الاجتماعية، صالون جدل الثقافي، الرباط المغرب، 2017، ص03.

[7] نقلا عن موقع: https://bit.ly/3haLRPF

[8] عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص 112.

[9] المرجع نفسه، ص143-144.

[10] بوبكر جميلي، عائلة من المفاهيم ينبغي تحديدها في منهجية البحث الاجتماعي، ، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2007 ، ص58.

[11] سمية إبراهيم مكاوي، الإعلام الإسلامي والإعلام الغربي في حاضر اليوم، مذكرة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2016، ص131.

[12] المرجع نفسه، ص132.

[13] نقلا عن موقع: https://bit.ly/3IPdNDp

[14] نقلا عن موقع: https://bit.ly/3bh2YLU

[15] فوزية حجاب الحربي، دور الإعلام في دعم خطط التنمية، ورقة عمل، 2016، ص09.

[16] رضا عبد الواجد أمين، دور وسائل الإعلام في تحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية والبنك الإسلامي، 2008، ص02.

[17] سقتي فاكية، التنمية الإنسانية المستدامة وحقوق الإنسان، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة فرحات عباس-سطيف-، 2010، ص37.

[18] مجدي مُحَمَّد عبد الجواد، دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار وتعزيز التعايش، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 51، 2013، ص 01.

[19] جمال مدفوني، وسائل الإعلام والمجتمع...التربية الإعلامية لمواجهة التضليل، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد 5، العدد 2، ديسمبر 2018، ص163.

. **قائمة المراجع:**

1- القاموس المحيط، (د.س)، بيروت، ص1043.

2- ماجد عرسان الكيلاني، التربية والتجديد، الإمارات العربية المتحدة ، 2005 ، ص 21.

3- جابر المنيفي، قياس تأثير الإعلام القيمي .. تأثير الإعلام على القيم الأخلاقية، تاريخ الزيارة: 2020/05/21، (https://bit.ly/3vTYcfj)

4- ابن‌منظور، لسان العرب، رضا أحمد، معجم متن اللغة، (د.س) ص221.

5- فريق حلوها، العنصرية أسبابها وطرق علاجها، تاريخ الزيارة: 2020/03/11، (https://bit.ly/3eBXzBv)

6- مؤمنون بلا حدود، فهم التطرف الديني الأسس الإيديولوجية والحالات الاجتماعية، صالون جدل الثقافي، الرباط المغرب، 2017، ص03.

7- ريم وسيم، الدول المسلمة في العالم، تاريخ الزيارة: 2020/03/17، (https://bit.ly/3haLRPF)

8- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص 112.

9– بوبكر جميلي، عائلة من المفاهيم ينبغي تحديدها في منهجية البحث الاجتماعي، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2007 ، ص58.

10– سمية إبراهيم مكاوي، الإعلام الإسلامي والإعلام الغربي في حاضر اليوم، مذكرة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2016، ص131.

11– بن مروان خباب الحمد، الإعلام الإسلامي في خط المواجهة، تاريخ الزيارة: 2022/01/31، (https://bit.ly/3IPdNDp)

12– هاشم نايل المجالي، التنمية الإنسانية المستدامة، تاريخ الزيارة: 2020/04/04، (https://bit.ly/3bh2YLU)

13– فوزية حجاب الحربي، دور الإعلام في دعم خطط التنمية، ورقة عمل، 2016، ص09.

14– رضا عبد الواجد أمين، دور وسائل الإعلام في تحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية والبنك الإسلامي، 2008، ص02.

15– سقتي فاكية، التنمية الإنسانية المستدامة وحقوق الإنسان، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة فرحات عباس–سطيف–، 2010، ص37.

16– مجدي مُحَمَّد عبد الجواد، دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار وتعزيز التعايش، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 51، 2013، ص 01.

17– جمال مدفوني، وسائل الإعلام والمجتمع...التربية الإعلامية لمواجهة التضليل، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد 5، العدد 2، ديسمبر 2018، ص163.